همس الجنة
نسمات الأدب
زمبرتا
"عرش على حافة القيامة"
فراس ذيبي

زمـــبــرتـــا

فراس ذيبي

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : زمبرتا

المؤلف: فراس ذيبي

غلاف الكتاب: همس الجنة

موك اب الكتاب: سها منصور

تنسيق داخلي: آية سحير

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إهداء

إلى كل الثوريين الذين حلموا بعالمٍ أكثر عدلًا، ولم يهابوا الموت من أجل حياة كريمة.

إلى العاشقين الذين فرّقتهم البنادق، لكنهم ظلّوا أوفياء للحب والثورة معًا.

إلى من ماتوا كي لا نعيش راكعين ..

هذه حكايتكم.

****

المقدمة

في مملكةٍ تُحيط بها الثلوج من كل الجهات وتحرسها صلوات ثلاث ديانات عتيقة، نُسجت الحكاية في ليلةٍ كان يفترض أن تكون مقدّسة لكنها انقلبت إلى جحيمٍ من الشك، والخيانة، والمقاومة، زمبرتا تلك الأرض التي لم تُذكر في كتب التاريخ، لأن ملوكها صنعوا لأنفسهم تاريخًا بديلًا، كُتب بالحبر والكذب والدم.

في هذه المملكة حيث تجاور المسلمون واليهود والمسيحيون على مدى قرون، لم يكن أحدٌ يتخيل أن ليلة ميلاد المسيح ستتحوّل إلى ساعة الصفر لانفجارٍ اجتماعي وديني يهزّ العرش، ووسط هذا

المشهد القاتم وُلدت البطلة "إليانا" شابة مسيحية تحمل في قلبها حبًا قديماً، وفي عقلها شكوكًا، وفي جسدها قلق امرأة خُلقت لتشهد على نهاية عهد وبداية قيامة، هي ليست من الثوار، ولا من الحاشية، بل من أولئك العالقين بين الحلم والخوف، بين ما يجب أن يحدث وما لا يجب أن يُقال.

روايتنا ليست عن تمرد بل عن محاولة فهم: ما الذي يجعل مملكة تسقط؟ من يربح حين يخسر الجميع؟ وهل يمكن للحب أن يزهر تحت أنقاض معبد؟

مرحبًا بك في زمبرتا حيث العرش يهتزّ، والتراتيل تهمس بالموت.

****

إلى مهدي الذي مات واقفًا، كي لا نعيش راكعين.

"إما ان نثور .. أو .. أن نركع"

"ما بين الخيانة والحب، تكمن الحقيقة المرة."

الفصل الأول

عيد بلا أنوار

لم تكن ليلة ميلاد المسيح تلك كغيرها من ليالي العيد، الثلج كان أكثر قسوة، والريح تصرخ في الأزقة كأنها تنذر بشيء لا نعرف لونه بعد.

كنت أراقب الشوارع من نافذتي الصغيرة ملفوفة ببطانية قديمة، أرتشف شيئًا من القرفة الساخنة، وكلّ ما يشغلني: لماذا هذا الصخب؟ لماذا لا يُسمع صوت التراتيل؟ ولماذا تسير الجنود في الشوارع بدل غزلان نوال الطائرة؟

اسمي إليانا طالبة في السنة الثانية بجامعة الملك السادس، فتاة عادية تؤمن بأن الخير ينتصر في النهاية حتى لو بدا ضعيفًا، لكن في هذه الليلة شيء ما تغيّر

زمبرتا لم تعد كما عرفناها، كُتب في نشرة الصباح أن "الملك سيُلقي خطاب الوحدة" في منتصف الليل، وأن "كل من يُضبط خارج منزله يُحاكم بتهمة الخيانة".

كنت أراقب، أرتجف، أتمسك بذكرياتي الصغيرة كأنها درع، ذكريات جدي حين كان يحدثنا عن التعايش، عن زمن كان اليهود يضيئون الشمعدان في السوق، ويهدي المسلمون التمر للبابا في المولد ونحتفل جميعًا بميلاد الطفل المسيح، لا كدين بل كرمز للسلام، لكن اليوم البابا نفسه يمرّ في الأزقة، يهمس للناس:

-لا تخرجوا، الثورة نجاسة، والاحتفال عبادة.

كأن صوته نبوءة أو لعنة.

كان الثلج يتساقط خارج نافذتي بصمتٍ غريب كأنّه يحاول إخفاء صراخ المدينة المتعب بدثارٍ من البلل البارد، لم يكن ثلجًا كما نراه في كتب القصص أو تراتيل الميلاد، بل رماديًّا، ثقيلاً، مشبعًا برائحة الحرائق وأزيز الخوف كأن السماء التي يُفترض أن تكون ملاذنا الأخير، قررت أن تبصق علينا رماد الحرب بدلاً من أن تمنحنا السلام.

لففت بطّانتي الصوفية البالية حول كتفيّ تلك التي ورثتُها عن جدي الكاهن، وهي تحمل بعد كل هذه السنوات رائحته الخافتة كأنّها ما زالت تُنذرني من العالم، في الخارج عبر النافذة الصغيرة

المحاطة بزجاج متشقق، رأيتُ جنود الملك يمرون ككائنات معدنية، خوذاتهم تلمع تحت أضواء المصابيح الشاحبة، وأقدامهم تفتت الجليد الهشّ كما يفعلون مع كلّ ما يقاوم سلطتهم.

شربتُ من قرفتي الساخنة محاولة تهدئة تلك القشعريرة المتسللة إلى عظامي لكنها لم تفعل شيئًا، بقيتْ برودة العالم أقوى من كل محاولاتي للدفء، تساءلت بصوتٍ خافت دون أن أسمع نفسي:

-لماذا غابت التراتيل هذا العام؟ أين تلك النغمات التي كانت تنبعث من الكنائس والبيوت؟ أين الأطفال الذين كانوا يهرولون في الشوارع، يزيّنون الأبواب، يتقاسمون الحلوى من يدٍ إلى يد؟

هذا العيد مختلف، هذا العيد خالٍ من الحياة.

فتحتُ الصندوق الخشبي المخفي تحت سريري، لطالما ترددت في لمسه كأنه يحتوي على ماضٍ يمكن أن يبتلعني، داخله كان إنجيلي الصغير الملطخ بدم أمي، وصليب جدي الذي قُتل وهو يحاول حماية عائلة مسلمة من قصف الأوغاد، وورقة عبرية باهتة كانت هدية من ريتشارد في زمنٍ كان فيه القلب ما يزال يؤمن بأن زمبرتا ستشفى.

رفعت عيني نحو السماء وسألتُ بخوف لا يجرؤ أحد على البوح به:

- لماذا نعبدك بثلاثة أسماء ونقتتل باسمك ذاته؟ لماذا جعلتنا المقدسات

نكره بعضنا، ونحن نسلٌ واحد، من ترابٍ واحد؟

انفجار بعيد هزّ جدران البيت، فقفز قلبي وأغلقت الصندوق بعنف، لم يمرّ وقت طويل حتى وصلني صوت صراخ قادم من الشارع، ركضت إلى النافذة مجددًا، ورأيت ثلاثة جنود يجرّون طفلاً صغيرًا لا يتجاوز العاشرة، كان يهوديًا بثيابه الممزقة يصرخ دون أن يفهم ما يجري، فتحت الباب وصرخت:

- خلّوا عنه! هو مجرد طفل!

نطقتها بالعربية تلك اللغة التي علّمني إيّاها مهدي بصوته الرخيم وأصابعه التي كانت تنسج الكلمات كأنها نسيج

شعر، توقف الجنود للحظة، نظروا إليّ بتردد ثم تمتم أحدهم:

- هذه ابنة القسيس، دعها، والدها صديق القائد.

أفلتوا الطفل فهرب كظلّ، وأنا أغلقت الباب بسرعة وظهري يرتعش من الرعب، كم مرة يمكنني خداع هذا القدر؟ كم مرة سأتمكن من النجاة قبل أن ينكشف وجهي الحقيقي؟

عدت إلى المطبخ لكن رائحة القرفة لم تعد تشبه شيئًا، ما كنت أحتاجه ليس مشروبًا بل يقينًا بأنني ما زلت حيّة وسط هذا الجحيم وقبل أن أستجمع أفكاري، دقّ الباب مرة أخرى هذه المرة لم يكن أحد من الجنود، خادم البابا كان

واقفًا على العتبة ممسكًا بصليب فضي كأنه سلاح، قال بلهجة آمرة:

- قداسته يطلبكِ في الكنيسة الآن.

لم أجادله، سرتُ خلفه بصمت حتى دخلنا كاتدرائية مار نقولا التي كانت خاوية إلا من ظلال الأعمدة العالية، البابا أغناطيوس الثالث كان هناك جاثمًا أمام المذبح كتمثال رعب، عيناه تبرقان بلون دمٍ قديم.

- تعلمين لماذا أرسلت إليكِ، إلينا.

قال دون أن يلتفت.

كذبت:

-لا، قداستك.

استدار بحدة، وجهه مغطى بغضب لا يشبه القداسة في شيء.

- الثـــورة نجاســـة! هـــذا العيـــد، هـــذه الاحتفالات، ما هي إلا عبادة للشيطان!

اقتـــرب منـــي ورائحـــة بخـــوره الفاســـد خنقـــت أنفاسي ثم همس بصوتٍ يشبه الأفاعي:

- أبـــوكِ مـــات لأنـــه ســـعى لمصـــالحة الكفـــار هـــل تريـــدين نهايتـــه؟ الملـــك يعـــرف أن مهـــدي العبـــد يعشـــقكِ، فليحتـــرق قلبـــكِ قبـــل أن يحترق جسده.

عـــدتُ إلـــى البيـــت والظـــلال تتـــراقص خلفـــي، جلســـتُ قـــرب النافـــذة وبـــدأتُ أتـــذكر تلـــك الليلة قبل العيد بيومين.

كنـــت أنـــا ومهـــدي نجلـــس علـــى ســـور المدينـــة القـــديم، نشـــاهد الغـــروب وهـــو يأكـــل أطـــراف زمبرتـــا، أشـــار إلـــى حـــي "وادي الســـلام" حيـــث كانـــت الشـــموع تُضـــاء فـــي

الكنيس والمسجد والكنيسة في وقت واحد، قال ضاحكًا:

-هذا ما يخافونه، أن نكون معًا.

ضحكنا حين رأينا يعقوب جارنا اليهودي يصرخ على جندي أسقط سلة خبزه.

- حتى الخبز تأخذونه منّا؟!

صرخ ثم صفير رصاصة.

رأيته يسقط كدمية قُطعت خيوطها، ومهدي يقفز لإنقاذ الطفل وسط الرصاص، رأيت دم زمبرتا يُزهر على الأرصفة كأن الأرض قررت أن تنزف لتروي صحراء العدل الميت.

في سريري كنت أخبئ رأسي تحت الوسادة، وأتمتم بصوتٍ لا يسمعه أحد، أتذكر كيف كان مهدي يقرأ القصائد

المحظورة لي، كيف كانت أصابعه ترسمُ الهواء كأنّه يكتب فوق جلدي، كنت أقول لنفسي:

- ماذا لو وُلدنا في زمن آخر؟

لكنّه لم يرني يومًا كامرأة، كان قلبه مشغولًا بزمبرتا وحدها.

في تلك الليلة دقّ جرس الكنيسة، لا ليعلن فرحًا بل كإنذار، وضعت نشرة الأخبار التي وزّعها الجنود على الحائط:

- خطاب الوحدة من جلالة الملك عند منتصف الليل، حظر تجول فوري، العصاة سيُعاقبون.

شربت آخر قطرة من قرفتي، وكلمات جدي تتردد في أذني:

-زمبرتـــا تُقتـــل عنـــدما ننســـى أن ثلجهـــا أبيضٌ للجميع.

ثم دقّ الباب.

****

الفصل الثانى

حصاد العاصفة

كانت دقّات الباب تتردّد في الليلة الساكنة كنبضات قلب مذعور، وقفتُ حافية القدمين على البلاط البارد الذي حفظ عبر السنين همساتنا وأحزاننا، ورائحة القرفة التي علقت في زوايا المنزل منذ الصباح تختلط الآن برائحة الخوف الدفينة، الضوء الخافت الذي يتسلل عبر النوافذ الصغيرة يُضفي على المكان هالة من الحزن وكأن حتى الليل نفسه يرفض أن يستمرّ في سكونه خوفًا من أن يُفضح كل شيء، من خلال الشق الضيق في الباب الخشبي رأيت عين ريتشارد الواسعة تلك العين التي كانت تضيء كالنجوم حين يقرأ لنا قصائد الحب الفارسية في زوايا المكتبة المنسية، الآن محتقنة بالدماء والرعب، تحمل في أعماقها خرابًا لم أره من قبل، تلك العينان اللتان كانتا في الماضي أملًا في قلب

بحر مظلم أصبحت الآن تعكسان الهلاك الذي حلّ بكل شيء.

-افتحي يا إليانا، باسم كل ما هو مقدّس!

همس بصوت أجشّ وكأنه يحاول إخماد صوته قبل أن يكتشفه الظلام.

لمحت خلفه ظلّ مهدي المنكفئ على نفسه كطائر جريح، يده الضامرة تضغط على جنبه الأيسر حيث كان الدم يتسرّب بين أصابعه كساعة رمل تقيس زمنًا ينفد، اندفعا إلى الداخل حاملَين معهما رائحة الشوارع المحترقة وعبق البارود الذي التصق بملابسهما كظلّ خبيث، أغلقتُ الباب ببطء وكأني أدفن مع كل شبر يُغلق أملًا في عودة الحياة إلى ما كانت عليه، ريتشارد كان يتنفّس بسرعة أنفاسه القصيرة تحكي قصة المطاردة التي نجا منها بأعجوبة، بينما انسكب مهدي على الأريكة القديمة

كجثةٍ طرية، دماؤه تلوّث نسيجها البالي كما تلوّثت شوارع زمبرتا بدماء الأبرياء.

-أحرقوا الحاخام يعقوب في كنيسته.

قال ريتشارد.

بينما كان يحاول إيقاف النزيف بقطعة قماش ممزقة، تذكّرت فجأة كيف كان الحاخام العجوز يوزّع الحلوى على أطفال الحي في الأعياد، بغضّ النظر عن أسمائهم أو أديانهم، كان يردّد دائمًا:

-الله خلقنا مختلفين لنكمل بعضنا.

الآن صار رمادًا يتطاير في سماء زمبرتا وصوته الذي كان يملأ الشوارع ترانيمَ سلامٍ لم يعد إلا صدى في ذاكرتنا.

عندما هممت بمد يدي إلى جرح مهدي، شعرت بقلبي يتوقّف للحظة، كانت هذه المرة الأولى التي ألمسه فيها بهذه القرب، تحت أصابعي نبضت

حرارة جسده كشعلة خافتة تقاوم الريح العاتية، رائحته مزيج القهوة المرّة والزعتر البري ملأت أنفي كذكرى لن تتلاشى، نظر إليّ بعينين تعرفان أكثر مما تقولان، وعندما همس:

-الدماء كلها حمراء يا إليانا.

فهمت أنه يتحدّث عن حرب أكبر من جروحنا، عن عداوةٍ زرعها الآخرون في تربتنا فأنبتت كراهيةً لا نعرف كيف نقتلعها.

في الخارج بدأت أصوات الجنود تقترب كعاصفة لا هوادة فيها، لم تكن خطواتًا عادية بل إيقاعًا نظاميًا ثقيلاً كدقّات طبول الحرب، اثنان منهم مختلفان كالليل والنهار، الأول ذو القامة الطويلة والعينين الضيقتين، كان يمسك ببندقيته وكأنها امتداد لذراعه، "أحمد" كانوا يسمونه بوجه لا يعرف سوى العبوس، والثاني "ياسر" كان أكثر هدوءًا،

عيناه تحملان نظرة حزن غامضة وكأنه يحمل سرًا ثقيلاً في صدره.

-افتحوا! تفتيش!

صرخ أحمد بلهجة لا تقبل الجدل.

قلبي توقف للحظة، مهدي كان ينزف في القبو، وريتشارد كان شاحب الوجه كالشفق الباهت، قبل أن أتمكن من الرد سمعنا صوت ياسر الهادئ:

- "ربما ليسوا هنا لنبحث في مكان آخر".

لكن أحمد دفع الباب بقوة محدثًا صوتًا مدويًا كالرعد، دخل كالعاصفة عيناه تفحصان كل زاوية بشراسة.

-أعرف أنهم هنا، أشم رائحة الدم.

ياسر تبعَه بتردد، نظراته تتجول في الغرفة وكأنه يبحث عن شيء آخر غير الهاربين، عندما رأى

الكوبين على الطاولة التقت عيناه بعينيّ للحظة، في تلك النظرة كان هناك سؤال وربما اعتذار.

- لنبحث في الطابق العلوي.

قال أحمد وهو يصعد الدرج بعنف.

بقي ياسر للحظة ثم همس وهو يشير إلى القبو:

- هناك، ليس لدي كثير من الوقت.

لم أستطع فهم ما إذا كان يحذرنا أو يساعدنا، وضع شيئًا صغيرًا على الطاولة "علبة مرهم" ثم تبع زميله.

في القبو كان مهدي يتلوى من الألم، ريتشارد أخذ العلبة بدهشة.

- هذا مضاد حيوي، كيف عرف أننا بحاجة إليه؟

لم يكن لدينا وقت للتفكير، أصوات الجنود عادت تهبط الدرج، أحمد كان يصرخ:

-لا يوجد شيء هنا! لكني أعرف أنهم مختبئون في مكان ما!

ياسر ظل صامتًا لكنه عندما مر بجانب الباب المؤدي إلى القبو، أسقط قبعته عمدًا ليغطي علامات الدم على الأرض.

- لنذهب، المكان نظيف.

قال بهدوء.

أحمد التفت إليه بغضب.

- أنت دائمًا متساهل، هذا هو سبب عدم ترقيتك!

لكنه في النهاية خرج ملوحًا ببندقيته في الهواء كتهديد أخير، بعد أن ابتعدت خطواتهما، خرجنا من مخبئنا حاملين مهدي الذي بدأ يستعيد وعيه ببطء.

- لماذا ساعدنا؟

سأل ريتشارد.

نظرت إلى الباب المغلق حيث اختفى الظلان.

-ربما لأن بعض القلوب لا تموت حتى في زمن الحرب.

همست

في تلك اللحظة غادرت المنزل بسرعة تاركةً ريتشارد ومهدي يسلكان طريقهما في صمت لكنني لم أذهب بعيدًا، إذ كنت أعلم أن عالمي لا يزال يختزن الكثير من الأسرار والأخطار، وعندما وصلت إلى عتبة بابي شعرت بشيء غير متوقع، كان أحمد الجندي الذي كنت قد رأيته في معركة سابقة يقف أمامي بنظرة غير مفهومة.

- أنتِ من الثوار، أليس كذلك؟

قال بصوت منخفض مضيفًا بحيرة:

-لكنني لا أهتم بذلك، أنا، أنا لا أستطيع أن أخفي مشاعري تجاهك، سأصمت عن كل شيء، لكنكِ

يجب أن تعرفي أنني لا أستطيع التوقف عن التفكير بكِ.

سكتُّ للحظة ولم أعرف ماذا أقول، في تلك اللحظة دوّت طرقات خفيفة على الباب، وعندما فتحته كانت الطفلة الصغيرة أمامي ترنّح من الخوف:

-خالتِي، خالتِي! إنها في وضعٍ سيء، في حاجةٍ للمساعدة!

لكن قبل أن أتمكن من الرد، ظهر ياسر الجندي الآخر عائدًا بعد اختفاء طويل، نظر إلى أحمد الذي كان يقف في زاوية الشارع وقال بحزم:

- أحمد، ابتعد عنها!

تراجع أحمد خطوة إلى الوراء، ورغم غضبه ترك المكان بصمت، بينما سحبني ياسر إلى الداخل قائلاً بنبرة غامضة:

-لن نتوقف هنا، إلينا، كل شيء في انتظارك.

أغلقت الباب خلفي وشعرت بأن هذا اللقاء كان بداية لما هو أكبر وأعقد.

****

الفصل الثالث

جمرٌ تحت الرماد

كنت أهرول بسرعة وراء سيلين، خطواتي تتسارع مع تسارع نبضات قلبي، كان وجهها المبلل بالمطر مليئًا بالقلق، وعينيها المملوءتين بالخوف تعكسان ما يخبئه المستقبل، بينما كنت أسحبها نحو الدار شعرت بشيء غريب يملأ صدري كما لو أن الوقت قد توقف، وكل لحظة تقترب أكثر من لحظة حاسمة، وصلنا أخيرًا إلى منزل الخالة لكنني لم أكن مستعدة لما رأيته، كانت العتمة تملأ المكان وبدت النوافذ مظلمة، لا شيء هنا يعكس الحياة التي كانت تعيشها هذه العائلة قبل أن تضربهم الحرب، دخلت البيت بحذر لم أكن أعرف ما الذي ينتظرنا هناك.

عندما دخلت، وجدتها، الخالة ممددة على السرير في زاوية الغرفة، عينيها الزائغتين لا تلتقيان بك، وكان قلبها يلهث ببطء، بين يديها كانت صورة قديمة، صورة ابنها الذي كان قد فارقهم منذ فترة طويلة متجهًا إلى الجبال حيث يقاتل مع الثوار، كانت عيناه يضيئان في تلك الصورة، كما كانت نظراته مليئة بالأمل والعزم، كانت تراه رغم الزمان والمكان وكأنها تتعلق بأمل العودة الذي يكاد يتلاشى.

زهرة الجالسة بجانب السرير كانت تتمتم بكلمات لا تُسمع لكنها كانت تتحدث بصوت هادئ يحمل مشاعر متناقضة، كانت من الثوار، نعم، ولكنها

كانت أكثر من ذلك، كانت تعرف الكثير، وكانت تعرف ما يدور في كواليس المعركة، وعندما رفعت عينيها كان في نظرتها شيء غريب كما لو أنها كانت تنتظر شخصًا ما.

- إنها لا تتحمل وحدها، كانت تتحدث عن ابنها طوال الليل، عن عودته، لكننا نعلم أن العودة قد تكون بعيدة جداً أو مستحيلة.

كانت كلماتها ثقيلة وكأنها تحمل رسالة غير معلنة، كانت زهره تعلم أن الحرب أخذت الكثير من الأشياء من هؤلاء الناس لكنها أيضًا كانت تشعر بما لا يمكن التعبير عنه، أردت أن أسألها المزيد لكنني كنت أشعر بأن الكلمات

تصبح ثقيلة على لساني، كنت أفكر في الخالة، في سيلين، في كل من تأثروا بهذه الحرب، لكن فجأة نظرت زهرة إليّ نظرة جادة وقالت:

-أنتِ ستكونين عنصرًا أساسيًا في هذه المعركة، إلينا في هذه الحرب دورك أكبر مما تعتقدين.

لم أفهم كلامها تمامًا في تلك اللحظة، كانت الكلمات ثقيلة، مليئة بالأسرار التي لا أستطيع أن أستوعبها.

-أنا؟ كيف؟

همست...

لكن زهرة لم تجب مباشرة، كانت كلماتها تتحرك في فضاء الغرفة كأنها تحمل شيئًا ما لا يمكن الإفصاح عنه،

كانت نظراتها تتسلل إلى أعماقي وكأنها تعرف شيئًا لا أستطيع أن أراه بعد.

-عندما يحين الوقت ستفهمين ما أعنيه.

قالت ولم أستطع أن أستوعب ما تقصده.

في تلك اللحظة دخل أحد الثوار من الباب بحذر، وكان يحمل في عينيه قلقة وحيرة، وقال بصوت خافت:

- لقد عدنا ولكن الأمر كان أكبر مما كنا نتوقع، هناك شيء يحدث في الجبال، ونحن بحاجة إلى المساعدة.

لكن ما فاجأني أكثر هو أنه نظر إليّ ثم إلى الخالة وقال بهدوء:

-الوقت يداهمنا، ونحن نعلم أن الخالة تحتاج إلى مساعدتنا أيضًا.

كان هناك شيء في عينيه، في كل كلمة يقولها، وكأن الفوضى كانت تتجمع في الجبال، وكل لحظة من الانتظار كانت تهدد بالخطر.

بينما كانت الخالة تكافح لالتقاط أنفاسها، ساد الصمت في الغرفة، كانت زهره تشد يدها في يدي كأنها تريد أن تُطمئنني لكنني كنت مشوشة، شعرت بشيء عميق في أعماقي وكأن ثقلًا جديدًا قد حلّ في قلبي، لم أكن أستطيع أن أراهن على كل هذه الحرب لكنني كنت على يقين من شيء واحد فقط: هذا الطريق الذي نمشي فيه لن يعيدنا إلى ما كنا عليه.

هل سأكون جزءًا من هذه المعركة؟ هل سيحملني هذا الدور الذي بدأوا في تحديده لي إلى نهايات لم أكن أعدها؟

في تلك اللحظة أدركت أن سيلين، الخالة، وزهره، وحتى الثوار الذين كانوا يختبئون في الظل، كانوا جميعهم يشاركونني سرًا كبيرًا، سرًا حول الحرب وحول دورنا الذي سيكتشفه الجميع في النهاية ولكن إلى متى؟

****

الفصل الرابع

خيانة فى ظلال الزيتون

لم تكن دقّات ذلك الصباح عادية، لم تكن طرقًا على الأبواب، ولا وقع أقدام في الأزقة، بل كان جرس الكنيسة القديم يصيح بجنون كما لو أنّه يستنجد بالسماء من شيءٍ هائل آتٍ، رنينه لم يكن احتفاليًا ولا كنسيًا، كان أشبه بصرخة مذبوح تردّدت في أرجاء زمبرتا وهي تحبس أنفاسها.

ارتديت معطفي على عجل، شعري نصف مبلّل من غفوة مضطربة واقتربت من نافذة المطبخ المطلة على الساحة، هناك كانت المدينة تتغيّر، تُخلع من جلدها وتُلبس جرحًا جديدًا، الجنود كانوا يقيمون حواجز عند الزوايا، والأسواق أُفرغت من ضجيجها، ووجوه الناس

شُدّت كما تُشدّ الحبال عند الإعدام، لكن اللافتة في منتصف الساحة هي ما انتزع الهواء من صدري:

"إعلان الطوارئ العام: حظر تجوّل فوري، تفتيش شامل لجميع المنازل، أي تعاون مع الفارّين يُعد خيانة عظمى."

في تلك اللحظة شعرت وكأن قلبي سقط مني في قاعٍ مظلم.

أين مهدي؟ أين ريتشار؟ هل قُبض عليهم؟ أم أنّ الخلية انكشفت؟ الأسئلة انقضّت عليّ كالسكاكين، تلسعني في خاصرتي دون رحمة، لم أجد سوى طريق واحد: بيت الخالة، وصلت إليه، فوجدت سيلين ترتّب أغطية قديمة فوق جسد أمها التي كانت تهذي باسم ابنها

كمن يُحدّث الأشباح، إلى جانبها وقفت زهرة عيناها أكثر ظلامًا من أيّ وقت مضى، لكن هذه المرّة لم تكن وحدها، كان برفقتها رجل، طويل، عريض الكتفين، تغزو الشيبَ في رأسه هيبةٌ كئيبة، نظراته لم تكن عدائية لكنها حادّة كأنها تخترق جلدك وتقرأ ما تحته.

قالت زهرة:

- هذا أنس بن رشيد قائد الخلية العليا.

اقترب مني بخطى ثابتة ثم سأل:

- أنتِ التي خبّأتِ مهدي وريتشار، أليس كذلك؟

لم أتردّد:

-نعم، لكنهم اختفوا فجأة، لم يتركوا أي أثر.

جلس، فرد خريطة ورقية فوق الطاولة، وعيناه ما زالتا تتفحّصان وجهي كأنّه يبحث عن علامة، قال:

– ما يحدث الآن ليس مجرد انتفاضة، إنها نهاية عهد، وبداية آخر، أمامنا 72 ساعة لتنفيذ خطتنا الأخيرة.

رفعت زهرة رأسها وأكملت:

-سنخترق القصر من الأنفاق القديمة تحت التلة، مهدي وريتشارد يحملان الشفرات اللازمة لفتح البوابة السرية، لكن المشكلة الآن أن أحدنا خان.

العبارة سقطت كصخرة وسط بركة صمت، ثم نظرت إليّ زهرة ببرود غريب:

- آخر من رأى مهدي كنتِ أنتِ، ومنذ خروجه من عندك، اختفى.

أردت الاعتراض، أردت أن أصرخ في وجهها:

- أتشكين بي؟!

لكن صوتي لم يطاوعني، قبل أن أنطق داهمنا صوتٌ من الخارج، متقطّع، حادّحادّ. كأنّه يجرّ وراءه ذاكرة محترقة، دخل شاب في العشرين، نحيل، نصف وجهه مشوّه كلوحة لم تكتمل، اسمه أكرم صرخ:

- أمسكنا بالجاسوس! إنه جلال بن فهد كان يرسل إشارات للجيش من سطح المعهد!

جلال؟ الشاب الذي كان يغني للحرية في الليل، ويوزع المنشورات كأنّه يزرع وردًا في حقول الموت؟

تجمّد وجهي، وانهالت الأسئلة.

في السرداب المهجور تحت بيت الخالة، اجتمعنا، جلال كان مقيّدًا يصرخ:

– كذب! لم أخن أحدًا!

لكن الأدلة كانت دامغة: جهاز إرسال مطابق لترددات الجيش، ملف يحوي أسماءنا جميعًا.

زهرة انفجرت غضبًا:

– بسببه سُجن مهدي وريتشارد وربما ماتا!

في صدري اشتعلت نيران باردة، تذكّرت صوت مهدي حين قال لي:

- الحرية لا تُستعطى، تُنتزع.

تذكرت دفء صوته، حذره، وشيئًا في عينيه وكأنّه كان يتوقّع الخيانة.

في تلك الليلة خرجتُ وحدي أجرّ وحدتي عبر شوارع زمبرتا الصامتة، الجنود كانوا في كل زاوية، أصوات طلقات من بعيد، المدينة كانت تنهار تحت أنفاسها، وفي الزاوية الجنوبية رأيتهم، سيارة سوداء، جنود خاصّون، ورجل يُسحب منها مكبّل اليدين، وجهه دامٍ، وملابسه ممزقة، كان مهدي، تسمرت في مكاني أختبئ خلف عمود، وقلبي يتدحرج في صدري كحجر، التفت فجأة وكأنه شعر بي والتقت نظراتنا، في عينيه لم أجد خوفًا، وجدت رسالة، وجعًا، رجاءً، ثم

رأيته يهمس لشيءٍ خلفه، وخرجت من الظلّ زهرة، زهرة كانت من تقوده.

في تلك الليلة شعرت أنّ البرد لا يأتي من الخارج فقط بل من الداخل، من جوف الروح، من التجاويف التي لا تدفئها النار، عرفت أنني وصلت نقطة اللا عودة.

وفي الصباح عدت لبيت الخالة، كان مفتوحًا خاليًا، لا زهرة، لا سيلين، لا شيء سوى ورقة واحدة على الطاولة:

- أدركنا أنك تعرفين أكثر مما ينبغي، لا تلحقي بنا، كلما اقتربتِ من الضوء، اقترب الظلام منك أيضاً، توقفي.

لكنني لم أتوقف، ذهبت إلى أكرم الذي وجدته في حانة قديمة، متنكرًا كمغنٍّ

أعمى يعزف على عود مشروخ، جلست أمامه، فقال دون أن ينظر إليّ:

- زهرة ليست كما تظنين، لقد اخترقتها منذ عام، إنها عميلة مزدوجة.

- ولِمَ لم تقل هذا من قبل؟

ابتسم ابتسامة حزينة:

- لأننا جميعًا مزدوجون، إليانا.

اسمي خرج من فمه كأنه يُولد من جديد، إليانا ذلك الاسم الذي حمل ماضيًا ممزقًا ابنة الأب المسيحي، والأم المسلمة التي أخفت هويتها كمن يُخفي نارًا في صدره، لم أكن أنتمي يومًا لمكان، كنت دائمًا نصف كل شيء، نصف حب، نصف هوية، نصف وطن.

قررنا التحرك ليلًا، دخلنا النفق القديم تحت التلة، الجدران رطبة تهمس بحكايات قديمة، والرائحة كأنها من زمن آخر، هناك في قلب العتمة وجدنا مخبأً صغيرًا فيه حقيبة جلدية، وبعض الأوراق، ودفتر قديم، فتحتُه كان دفتر مهدي، قرأته بلهفة ويدي ترتعش، وفيه كتب:

- إليانا، إن قرأتِ هذه الرسالة، فهذا يعني أنني لم أعد حيث كنت .

****

الفصل الخامس

حين يسقط القناع

حين فتحتُ دفتر مهدي، لم يكن ورقًا ما بين يدي بل قلبًا نُزعت عنه أضلعه، عبقُ الياسمين تسلّل من بين الصفحات كطيفه كأنه اختبأ هناك عمدًا، يعرف أنني سأفتحه يومًا ما حين لا يبقى لي سوى الرماد، اصابعي ارتعشت، ليس من البرد بل من رهبة ما سأقرأ، سطوره كانت مكتوبة بخطٍ متعرّج كسطر حياةٍ يقاوم النبض الأخير، نظرت إلى الورقة الأولى وإذ بها تبدأ بنداءٍ كأنّه صدر من عمق قبر:

- إليانا، لم أكن أعرف كيف تبدأ رسائل الحب لأننا لم نتعلمها في زمبرتا، تعلمنا لغة الحذر، والهرب، والرصاص، ومع ذلك سأكتب، حين كنتُ أهرب من الجنود

لم أكن أخاف الموت بل خفتُ ألا أراك مجددًا، حين كنا نجلس تحت شجرة الزيتون وكنتِ تقرأين شعر المتنبي كنتُ أحبس أنفاسي كي لا أفسد اللحظة، في هذا العالم الذي يحاول تفريقنا بأسمائه البغيضة: مسلم، مسيحي، خائن، ثائر، كنتِ أنتِ وطني الوحيد، إن لم نلتقِ، فكل قطرة دم سالت من جسدي، كانت تُنطق اسمك.

عدتُ بذاكرتي إلى لحظة غروب، حين وقفتُ مع مهدي على سور قديم يطلّ على الساحة، والبلدة تسبح في الضوء الذهبي، قال لي يومها:

-هذا الضوء لا يدوم لكنّه يُعطينا وعدًا كلّ مساء.

كنت أستطيع أن أمسك يده، أن أقول له شيئًا، لكني صمتّ كما أفعل دائمًا حين يلامس الخوف حنجرتي.

في قبو بيت الخالة، جلست زهرة مقابلي متّشحة بالسواد كأنها دفنت قرنًا بأكمله في عينيها، صرختُ وأنا ألوّح بالدفتر في وجهها:

- كيف تبرّرين وجود مهدي بين الجنود؟ لماذا لم تخبريني بكل شيء؟!

لم ترتبك، نظرت إليّ بثبات ثم مدت يدها وقالت:

- اقرأي الصفحة الأخيرة وتوقفي عن التصديق الأعمى.

فتحت الصفحة التالية، هناك تحت قصيدة "قمري" لنزار قباني، كلمات

بالكاد تقرأ كما لو أن مهدي كتبها بدمه لا بحبره:

- إليانا، الحقيقة المرة: ريتشارد ليس ريتشارد بل قيس بن مروان، لم يكن طبيبًا ولا منفيًا بل ضابطًا سابقًا، مدرّب على الاختراق والتسلّل، هدفه كان واحدًا تدمير زمبرتا من الداخل، زهرة فقط من تعرف الحقيقة، وثقي بها كما وثقتِ.

شعرت أن الأرض تدور حولي ريتشارد! ذلك الغريب الذي أحببناه كأخ، الذي كان يمسح دموع سيلين، ويحضن أمها حين كانت تهذي باسم ابنها؟ الذي أعدّ لي شاي النعناع حين بكيت ذات ليلة؟ لم يكن سوى قيس، القناع الذي لبسه الموت، وخدعنا جميعًا.

همست زهرة كأنها تستعيد ذكرى قديمة:

- عرف مهدي الحقيقة بعد أن رأى إشارات مشفّرة في دفتر ريتشارد، لم يرد أن يصدق لكنه راقبه، وبعد التأكّد خطّط لأن يتم اعتقاله عمدًا ليقترب من قيس أكثر، ليعرف من معه، ومن وراءه.

كانت الدموع تنساب من عينيها وهي تقول:

- لقد خاطر بكل شيء، إليانا، لم يخبرنا إلا بقدرٍ يسير حتى لا يسقط الجميع معه، أنا فقط، أنا من أقنعه بأن يفعل ذلك.

في الخارج دوّى انفجار كأن زمبرتا لفظت سرًّا كانت تخفيه طويلًا، في تلك

الليلة لم أنم، بقيتُ جالسة على أرض القبو وأمامي الدفتر، أقرأ السطور مرارًا وأعيد ترتيبها كأنني أحاول فهم شيفرة الحرب، فجأة سقطت ورقة مطوية من بين الصفحات، كانت مختلفة مشبعة برائحة تبغ خفيف، موقّعة بخطّ أنيق:

- قيس بن مروان .. الملف: زمبرتا .. المهمة: اختراق الخلية، تصفية قائدها مهدي، إنهاء التحالفات الداخلية .. التقدّم: ناجح بنسبة 87% .. ملاحظة: بدأ الشكّ يتسلل إلى بعض الأعضاء، ضرورة التعجيل بالخطوة الأخيرة.

شعرت بشيء ينكسر داخلي، لم يكن الألم فقط من الخيانة بل من كل اللحظات

التي صدّقناها، كل الليالي التي غنّى فيها ريتشارد للحرية، كانت كذبة

حين طلعت الشمس، لم تكن شمس زمبرتا القديمة، كانت شمسًا جديدة صفراء باهتة كأنها خائفة أن تُثير كل شيء دفعة واحدة.

أغلقت الدفتر وحملت معه قلبي، عرفت أن الرحلة لم تنتهِ بل بدأت للتو، كنت أنا من سيواجه قيس، أنا إليانا، ابنة النصفين التي لم تعرف يومًا إلى أي أرض تنتمي لكنّها الآن عرفت؛ تنتمي إلى أولئك الذين كتبوا بدمهم الحقيقة كي لا تموت.

****

الفصل السادس

القلب الذي خان نفسه

كان الليل قد أرخى سدوله على مدينة زمبرتا المدينة التي طالما كانت رمزًا للأمل والنضال لكن داخل جدران القصر، كانت الخيانة قد دفنت بذورها العميقة، تمامًا كما دفن الأمل في قلب أحدهم، مهدي كان في الزنزانة لا يكاد يفيق من آلامه لكن قلبه كان ينبض بإصرارٍ غريب، بينما كانت زهرة تسير بخفة عبر الممرات المظلمة تحمل مفتاحًا قديمًا وورقة مكتوبًا عليها كلمات مهدي الأخيرة:

- إذا عدتُ حيًّا لا تتركي إليانا وحدها.

عند منتصف الليل، دقّت زهرة ثلاث ضربات على الحائط، كانت الإشارة المتفق عليها مع ليونال الثوري الذي لا

يحمل سوى ثأره وأمل في المستقبل، كان يختبئ في زيّ جندي مزيف، شق طريقه عبر الممرات الخفية للقصر ليكتمل المخطط الذي كانت تهدف إليه الثورة، فتح ليونال الباب الحديدي بسكون وسحب زهرة خلفه إلى الزنزانة حيث وجدوا مهدي على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة إلا أن عينيه كانتا مشعتين بنظرةٍ غريبة، شرارة من حياة لا تزال تتشبث به، همس بصوت ضعيف:

- ظننتُ أنني سأموت هنا، لكنني كنت أراها، أراها تقرأ لي المتنبي كلما أغمضت عيني.

حمل ليونال مهدي على كتفه بينما كانت زهرة تفتح الطريق أمامهم، وعيناهما تتنقلان بين الخطر والفرصة، وعندما وصلوا إلى السلالم، توقف ليونال وسأل:

- إلى أين؟

مهدي رغم الجراح أجاب بنبرة محطمة:

- إلى الحقيقة، أريد أن أفضح ريتشارد أو بالأحرى قيس.

في مخبأ الثوار، كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، زهرة، وليونال، وأنا، كنا ننتظر الإجابة، بينما كان الصمت ثقيلًا، في تلك اللحظة كانت نظرات مهدي مليئة بالحزن العميق كما لو أن الأيام التي

مضت كانت تُحطّم كل أمل في داخله، ثم فجأة خرج من الظلال صوت مألوف:

- لا تذهبوا .

جاء الصوت ضعيفًا ولكنّه كان يحمل كراهية وحزنًا كبيرين، كان قيس الذي لم يعد قيسًا بعد أن أصبح ريتشارد، يقف هناك متساقطًا على الأرض، دماءه تلطخ وجهه، كان يترنح كما لو أنه خرج للتو من معركة مع نفسه.

- خنتنا

كانت الكلمات صادمة، خرجت مني بلا إرادة، ولم أستطع السيطرة على دموعي لكن عيوني كانت مليئة بالصراخ.

- لم أخنكم، خنتُه فقط.

كانت كلماته مليئة بالندم لكن لم يكن هنالك مكان لهذا الندم في قلب إليانا.

- كنتُ أكرهه، منذ اللحظة التي رأيت فيها نظرتكِ إليه، تلك النظرة التي لم أذقها منكِ يومًا.

صمت ثم تابع بصوت مكسور:

- اليانا، لقد كنتِ كل ما أملك لذلك فكرت أن أزيحه، أن أقدّم رأسه قربانًا لأخذ قلبكِ ولكنّي أخطأت، لم أكن أريد أن أقتل الثورة ولكن كان حبّي لكِ يغمرني حتى فقدت نفسي، فعلتُ ما فعلته لأني أحببتكِ لكنّني في النهاية خنتُكِ أنتِ وأمتكِ.

في تلك اللحظة بدا لي قيس صورة تراجيدية من نوع آخر، لم يكن مجرد خائن، كان شخصًا وقع في فخ نفسه،

ضحية لضعف كان يظنه قوّة، لم أستطع أن أتقبل ذلك، كنتُ على وشك أن أطلق عليه الرصاص، لكن حينما تحركت يدي نحوه، همس مهدي بصوت خافت:

- لا تفعلي.

استدرت نحوه، فوجدت في وجهه نظرة عميقة من الشفقة، شفقة على من لم يعد قيسًا ولا ريتشارد بل أصبح ظلًا لما كان عليه، قال لي، بصوتٍ عميق ملئه الألم:

- أن تتركيه ينزف وحده بين صراصير القبو وجرذانه هو أعظم من ألف طلقة، دعيه يتعفّن في صمته كما تعفّن وفاؤه.

قيس (ريتشارد) نظر إليّ نظرة أخيرة بعيونٍ مليئة بالندم والحب الذي لم يُكتب له أن يولد.

-إليانا

قال اسمي كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة:

"قلبي كان صادقًا لكنني كنتُ جبانًا."

ثم وكأنما أُصيب بخدرٍ، جلس على الأرض مستندًا إلى الجدار، ورفع رأسه إلى السقف، كانت روحه قد فارقت جسده منذ وقت طويل، ونحن فقط من نعيش في صراعنا مع ذكرياته، لم أقتله، تركته في دمائه حيث يواجه مصيره، لم يكن هناك مكان للرحمة، ولا مكان للمغفرة، كانت تلك هي النهاية التي

اختارها، نهاية تصب في أسطر الخيانة والخذلان.

عندما خرجنا من هناك، كان مهدي يسير معنا ببطء، بينما زهرة وليونال يخطون خطواتٍ ثابتة، لكنني في تلك اللحظة شعرت بأننا لم نكن فقط نبحث عن الخلاص بل كنا نواجه الموت بأيدينا، توجهنا إلى القصر كانت المهمة واضحة: الملك يجب أن يموت.

****

الفصل السابع

عرش على حافة القيامة

كان القصر يهتز من حولنا، وصوت المعركة يعصف بأركانه كما لو أنه قلب العالم كله ينبض بحقدٍ وألم، لم أكن أسمع سوى دوي الرصاص وصراخ الثوار لكنني كنت أسمع أيضًا أنفاسي أنا أنفاسي التي كانت تتسارع مع كل خطوة، مع كل هجمة، كانت يدي ترتجف ولكن في داخلي كان هناك شيء من القوة، كان هناك مهدي.

لقد سقط مهدي أمامي لكنه لم يستسلم، لم تكن تلك نهاية قتالنا بل كانت بداية لحظة لا أستطيع أن أصفها بالكلمات، كان الدماء تملأ جسده، وعيناه اللتان كانتا مغمضتين في لحظة الضعف، فتحتا لتستفيقا على عالمٍ مختلف، عالمٍ مليء

بالدمار ولكن كذلك بالأمل، في تلك اللحظة اقتربت منه، حاولت أن أمسح عن جبينه الدماء التي تساقطت لكن يده كانت تثقل، وكان يتنفس بصعوبة.

- مهدي، لا!

همستُ وأنا أمسك بيده.

- لا تذهب! نحن هنا، سننتصر، سنكمل القتال من أجلنا، من أجل الثورة.

لكن مهدي ابتسم ابتسامة ضعيفة، نظراته كانت مليئةً بالحزن والألم، لكن هناك شيئًا آخر كان في عينيه، السلام أو ربما الرضا وكأن قلبه كان قد ترك هذا العالم وكان في رحلةٍ بعيدة.

- إليانا.

همس باسمي بصعوبة وتكاد كلماتُه تتناثر بين أنفاسه المتهالكة.

- أريدك أن تعرفي أن الثورة لا تموت، حتى لو، حتى لو أنا ذهبت، فالثورة ستظل حيّة، ستظل تُنير الدرب للآخرين.

كنتُ أتحامل على نفسي لأبقى واقفة أمامه ولكن فجأة سقط على الأرض وعيناه تغلقان ببطء، في تلك اللحظة كان يده ما تزال في يدي، كان لا يزال يحارب من أجلنا، من أجل الأمل، كانت نظراته تقول لي كل شيء:

- لا تتوقفي، لا تتركي الثورة تموت.

ثم قال بصوتٍ خافت لكنه واضح:

- أنشري هذه الرواية، إليانا، أنشري ما نكتبه الآن كي لا تموت الثورة.

فهمتُ ما كان يقصده، كانت كلماته بمثابة وصية، بمثابة أملٍ يودّ أن يبقى حيًّا في هذا العالم الذي أسكته الفساد والظلم، كانت كلماته تختلط مع صراخ المعركة، وكانت كما لو أن الزمن قد توقف للحظة، كان يريد مني أن أكون جزءًا من تلك القصة التي تتناثر من بين أوراقنا الآن، أن أكون أداةً في يد الثورة التي لن تموت رغم الموت، رغم الفقدان.

أمسكتُ بيده التي كانت لا تزال دافئة ورأيت في عينيه كل الأمل الذي لم يمت حتى حين انتهت حياته، كأنما كان يخبرني أنني يجب أن أكون الصوت

الذي يحمل رواية الثورة، رغم كل الألم، رغم كل الخيبات.

- لن تذهب سدى، مهدي.

قلتها بصوتٍ مختنق ودموعي تنساب بلا إرادة:

-لن تذهب سدى.

في تلك اللحظة كان ملك زمبرتا يقف بعيدًا، وجهه المشوّه بالدماء، وكان يراقبنا بعينيه الجاحظتين، وكأنما هو في انتظار اللحظة التي سيشهد فيها سقوطه كنتُ أراه وكأنني أرى كل شيء مريض في هذا العالم: طغيان، كذب، وجنون.

حركتُ السيف في يدي ورحت أتحرك نحو الملك بخطوات ثابتة، قلبي يتطاير من الصراخ لكن عينيَّ كانت متألمة،

وكلما اقتربت منه، كان صوته يرن في أذني:

- إليانا أنا والدكِ، والد كل المسييحين، لقد قتلت أمك خوفا عليك من الكفار والكفر بديننا، أنتِ من سلالة العرش.

كانت كلماته كالصاعقة وكأنها سحبتني من عالمي لكنني لم أتوقف، لم يكن الملك والدي ولا أريده أن يكون كذلك، كان قاتلًا، كان السبب في كل هذا الظلام وكان يجب أن يموت، لم يكن لي مكان في هذا العرش الذي بناه على الدماء، كان يجب أن يدفع ثمن خيانته.

- موتك هو النصر، موتك هو ما يستحقه كل من دعم هذا العرش.

همستُ...

ثم طعنتُه بسيفي، كان ينهار أمامي لكن لم أشعر بأي رحمة، لم أشعر بشيء سوى الرغبة في الانتقام، في قتل كل شيء حاول أن ينهض في داخلي من الألم، سقط الملك على الأرض والدماء تتناثر من جسده المتهالك لكنه مات بلا عذر، بلا شيء يمكنه أن يقدمه لي أو للثوار، ولكن مع موته كنتُ أدرك تمامًا أن الثورة قد انتصرت.

ولكن في داخلي كنت أرى مشهدًا آخر، كان مهدي يبتسم لي في مكانٍ آخر، مكانٍ خالٍ من الألم حيث لا أحد يستطيع أن يوقف الحلم، كنتُ أغمض عيني وأنا أسقط على الأرض بجانب مهدي، وأبكي صامتة، كنتُ أعرف أن كلماته الأخيرة

سـتظل حيّـة فـي قلبـي، وأنـه حتـى فـي موته، كانت الثورة لا تزال مستمرة.

-أنشـري الروايـة، إليانـا، كـي لا تمـوت الثورة.

كانت تلك وصيته، وكانت تلك الحقيقة.

****

الخاتمة

في يومٍ جديد احتشدت الشوارع بأعلام الثورة والموسيقى التي تعزف ألحان النصر، كانت المدينة تتنفس من جديد، وشعب زمبرتا كان يرقص على أملٍ جديد بعد سنواتٍ من المعاناة، كانت الثورة قد انتصرت، والظلام الذي كان يغطي الأرض بدأ يتلاشى ليحل محله نورٌ جديد، وفي وسط هذا الاحتفال، وسط الزغاريد والهتافات، وجدت نفسي جالسة في ركنٍ بعيد، بعيدًا عن الأعين، وأمام صفحات دفتري القديم، كنت أكتب كأنني أضع ما في أعماقي على الورق، كما لو أن الكتابة هي الطريق الوحيد الذي يمكنني من خلاله أن أخلّد كل ما

مرّ بي، وكل ما مرَّ به من قبلي، تذكرتُ لحظات المعركة؛ دماء مهدي التي خضبت يدي، وصرخات الثورة التي هزت الأرض، تذكرتُ تلك اللحظة التي قال لي فيها وهو يحتضر:

- أنشري الرواية، إليانا، كي لا تموت الثورة.

كانت كلمات مهدي هي الحافز الذي دفعني إلى الكتابة، وأصبحت روايتي "زمبرتا: عرش على حافة القيامة" أكثر من مجرد كلمات على ورق؛ أصبحت قصة شعب، وأمل، وتضحية، كانت أوجاعه وأفراحه تمتزج في سطورها، كتبتُ عن الثورة التي انتصرت بدماء الأبرياء، عن الحب الذي

كان أقوى من كل الخيانات، عن الثأر الذي كان رصاصًا في قلب الظلم، لكنني فوق كل ذلك كتبتُ عن مهدي، ذلك الذي لم يكن مجرد رجل بل كان رمزًا للثورة الحقيقية التي ناضل من أجلها الجميع، كان هو من حمل شعلة الأمل في وقت كان فيه الجميع قد فقدوا الطريق.

وفي تلك اللحظة وأنا أكتب كنت أشعر بحضوره وكأن روح مهدي ترفرف حولي، كأن كلماتنا نحن من عشنا تلك الأحداث هي التي ستنقذ هذه الأرض، وأن روايتي ستكون شاهدةً على تضحياتنا، شاهدةً على حقيقةٍ لا تموت، لكنني بعد كل هذا أدركت الحقيقة التي لم تزل تتردد في أعماقي: الثورة لم تنتهِ بل

هي بدأت من جديد، كانت كلمة مهدي الأخيرة هي ما يجب أن يحيا في قلوبنا إلى الأبد.

"إلى مهدي الذي مات كي لا نعيش راكعين"

كانت ثورتك، وحبك، وتضحياتك، هي الأسس التي أعادت بناء هذه الأرض.

تمت بحمد الله

"لم تكن زمبرتا سوى مرآةٍ مكسورة انعكس فيها وجهي حين قررت أن أُحب في زمنٍ لا يعرف الحب، وأن أصدق في مملكةٍ بُنيَ عرشها فوق القيامة."

"نحن لا نُهزم حين تنكسر الأحلام بل حين نتوقف عن الحلم، حين نصير ظلًّا لما كنّا، نُراقب العالم يُعيد خطاياه، ونحن نكتفي بالصمت."

زمبرتا

في مملكة زمبرتا حيث تتداخل خيوط الدين بالثورة،
والعدالة بالخيانة، يظل الحب لغزا غير مكتمل.
"اليانا" البطلة التي تقاتل من اجل الحق، تقف على حافة
الفوضى، تواجه مصيرا مؤلما لا مفر منه في عالم تتشابك
فيه الاديان والايديولوجيات ، هل يمكن للأمل ان ينمو في أرض
غرقت بالدماء؟ و هل يمكن للروح ان تحافظ على نقائها
في وجه الخيانة التي لا تنتهي؟
" زمبرتا : عرش على حافة القيامة"
هي رحلة عبر الضلال و الانوار ، عبر عالم يزهر بالدماء و يذبل
في الاساطير ، هل ستنجو الشخصيات من قيود الماضي،
ام ان نهايتها قد كتبت قبل ان تولد ؟

نسمات الأدب

مديرة الدار:رزان محمد كليب

تصميم:همس الجنة